Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو ذاك من المجالات التي يحيلنا عليها. ويستقيم التلفظ هنا استنادا إلى الإخبار والتحقيق والتوثيق...إلخ.

ويتطورالنص السيرذاتي كله وفق هذه المراوحة (الأنا التلفظي الذي يحيل على الأنا الوجودي) مشكلا تجربة الحياة الفردية بين ماضيها وحاضرها. ومن المهم أن ننتبه إلى أن المراوحة المذكورة تتم من خلال مكونين هما: الماضي والذاكرة.

الأول نسميه الماضي، في دلالته على التجربة المنقضية من الناحية الزمنية. ولا يمكن الاكتفاء بالماضي هنا كمجموعة من الأحداث، الخاصة أو العامة، مثلما لا يصح النظر إليه فقط كواقعة (وقائع) ولت أو انقضت، بل هو أيضا رؤية، أو زاوية نظر، تحايث عملية التفكير في التوجه نحو الماضي، بنزوع يرمي إلى استعادته، كما قلنا، ويطمع في التأكد، عن طريقة الكتابة، من استمراره أو انقطاعه، من ديمومته أو انفلاته.

إن الماضي تجربة عاشها الطفل والشاب اللذان كانهما المختار السوسي، ومن ثم فهو ماض مؤثث، له صوره ووقائعه، ذاكرته وذكرياته، علاقاته ومحيطه الخاص والعام. ولذلك فمحاولة استعادته هي، بمعنى ما، طريقة مبتدعة، إلى هذا الحد أو ذاك، في تقمصه، بصرف النظر عن درجة هذا التقمص من حيث الوفاء للوقائع التي اخترقته. ولا يمكن التفكير في هذا التقمص في استقلال عن الدواعي التي تحمل عليه، أعني ما يرتبط منها بالحاضر كتجربة وزمن، وما يلابسها من متغيرات آنية متولدة عن الشعور الشخصي به كماض انتهى إلى الأبد.

أما المكون الثاني فنسميه الذاكرة، بالمعنى الذي يفيد تلك الملكة الفردية الحافظة لمختلف الوقائع والأحداث والتطورات العالقة بالذهن أو المترسبة فيه، والتي تتكون بفعل ممارسة التجربة، عبر الحواس أجمعها، فتغدو هذه الذاكرة كما لوكانت مضاعف الأنا الشعوري. ويمكن القول، مع خوسي مارينا Marina إن الذاكرة هي الوقود الذي يسمح لنا بالطيران، وأن (الأنا التنفيذي، الذي يقوم بعملية الاستذكار، يمكن أن يختار ذاكرته، وأن يرسم عملية بنائه)، ولذلك فالذاكرة ليست ضريبة أو قدرا، بل مشروعا(1).

ويبدو لي أن أن السيرة الذاتية عندما تشرع في كتابة ماضيها تستدعي ذاكرتها، بواسطة التفكير، لا لتنظيم الوقائع التي قد تكون اخترقتها في مرحلة معينة من مراحل الوجود، أو فيها جميعا، ولكن من أجل إعادة تكوينها وتنظيم محمولها حسبما يمليه مقام الاستدعاء في الزمان والمكان، وأيضا خضوعا لمؤثرات ظرفية تفعل فيها بحسب الشروط المحيطة.

1- Teoria de la inteligencia creadora, Anagrama 1993, Barcelona, p. 118